



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/

Assist Lecturer: Atyaf Talal Khalid

Kirkuk University/College of Science

* Corresponding author: E-mail :
atyftalal978@gmail.com

07706677389

Keywords:

patterns,
 novel,
 implicit,
 pun,
 criticism,
 culture

ARTICLE INFO

Article history:

Received 4 July. 2022
 Accepted 14 Aug 2022

Available online 29 Nov 2022

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



Cultural patterns in the novel Maps of Oblivion by the writer (Mohamed Rafie)

A B S T R A C T

The research is interested in studying and revealing the systemic implicit behind the novelistic discourse of the contemporary Jordanian writer, Muhammad Rafi, according to the perspective of cultural criticism, as it is an aesthetic and cultural material. In his text, there is a cultural pun that apparently relates to a state of betrayal and astonishment that afflicts the reader, because he is shocked by a society that is far from humanity, not to mention the violation of the values, morals and principles on which the Arab individual was brought up in the East. The events of the novel receded, starting with Egypt, Jordan, Baghdad, and then Turkey, to eventually settle in America. The researcher made every effort to expose the cultural patterns present in the novel to be more clear, and all of this needed a cultural reading with a precise and broad level of knowledge of the culture of the text studied in its various aspects.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.12.3.2022.08>

الانساق الثقافية في رواية خرائط النسيان للكاتب (محمد رفيع)

م.م. اطياف طلال خالد/ جامعة كركوك/ كلية العلوم

الخلاصة:

يهم البحث بدراسة وكشف المضمون النسقي المتواتري خلف الخطاب الروائي للكاتب الاردني المعاصر محمد رفيع حسب منظور النقد الثقافي، باعتباره مادة تمتاز بالجمالية والثقافة، لذا ارتأينا النفاد في جغرافيا الخطاب، لفرز انساق متعددة(اجتماعية، وثقافية، سياسية، وتاريخية)، وللكشف عما يصوّر الروائي في نصه من تورّية ثقافية تتعلق في ظاهرها بحالة من الخذلان والدهشة التي يُصاب بها القارئ، لكونه يُصدّم بمجتمع هو أبعد ما يكون عن الإنسانية، ناهيك عن انتهاك القيم والأخلاق والمبادئ التي تربّى عليها الفرد

العربي في المشرق. انحسرت احداث الرواية بدءً من مصر فالاردن في بغداد ومن ثم تركيا لتسقر في نهاية المطاف في امريكا، وقد بذلت الباحثة جهده في تعرية الانساق الثقافية الحاضرة في الرواية لتكن اكثراً وضوحاً، وكان ذلك كله بحاجة الى قراءة ثقافية ذات مستوى معرفي دقيق وواسع بثقافة النص المدروس بنواحيه المختقة.

الكلمات المفاتيح: (الانساق، رواية، المضمون، التورية، النقد، الثقافة).

مقدمة

يعد النقد الثقافي احد المفاسيد المعقّدة، والذي نشأ في فترة ما بعد الحادّة، فقد سعى بادواته الحديثة الى استطاق النص الادبي وقراءته بطريقة جديدة، ونظراً لدخوله حديثاً في المجال النّقدي العربي، فإن البعض كانت له مواقفاً متباعدة تجاهه، نتيجة السلبيات التي علقت به عند صدور اول كتاب عربي للدكتور عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي: قراءة في الانساق الثقافية العربية**⁽¹⁾ والذي بدوره قدم مفهومه على كونه واحداً من فروع النقد النصوصي العام، لكونه احد حقول الالسنية وعلوم اللغة، اذ يهتم بنقد الانساق المضمرة والمختالة التي يتضمنها الخطاب الثقافي بشتى اشكاله لكونه يبحث ليكتشف عن المخبأ من تحت اقنعة الجمالي والبلاغي⁽²⁾. يرجع المؤرخين البداية الحقيقة لممارسة الدرس الثقافي في الغرب الى اوائل الستينيات من القرن الماضي، وقد وضع الناقد (ستيفن جرينبلات) في ثمانينيات القرن الماضي معلماً هذا الاتجاه، فمن مبررات هذا النقد انه يهتم بانساق النصوص، فيعمل عن طريق القراءة المتفحصة بكشفها وتفكيكها، وجعلها قيمة ثقافية، لاهتمامه بخطابات تحمل في طياتها سياقات انتاجية، وبالتالي يستطيع ان يقدم انطباعاً مفاهيمياً عن ثقافة تلك السياقات الواردة في المنجز الادبي، بغض النظر عن درجة تعقيدها او سهولتها⁽³⁾. ولذلك فان النقد الثقافي " بزغ ليرسم اطاره العام بوصفه مشروعًا معرفياً منفتحاً على مجمل الحقول المعرفية كالانثربولوجيا والتاريخ وعلم النفس والمجتمع والاقتصاد والفلسفة، ليؤسس رؤية واضحة تقف عند انساق مضمرة تحكم في انتاج الخطاب واستهلاكه وكيفية تأويله"⁽⁴⁾. فالقراءة الجديدة تتجلى في اظهار ما مكون في الخطاب الادبي، لتحديد مقاصده، والسعى من اجل معرفة طبيعته، ونوع العلاقة المتغلغلة فيه بوعي او على غفلة من الكاتب.

ان الدراسة الثقافية، هي ظاهرة ادبية حديثة تهتم بالنشاط الانساني ضمن الجانب الثقافي، وتختلف في الوقت ذاته عن باقي المناهج السياقية الحديثة، وقد اتّخذ النقد الثقافي منهجاً جديداً، مركزاً على تحليل النصوص في سياقاتها المختلفة (سياسي، اجتماعي، ديني، ثقافي)، لأنّ البؤرة المركزية لعمله تقوم حول مساءلة الثقافية والانساق المضمرة والظاهرة، حسب قصصية الخطاب وابداع الكاتب وجهد المتلقى في استطاق النصوص⁽⁵⁾

فمن شعارات هذا النوع (النقد الثقافي) ، انتقاء سلطة الكاتب عند وضع النقطة الأخيرة في منجزه الأدبي، لتحيا بعدها السطور المدونة حياة جديدة مع المتلقى الناقد والذي تقع على عاتقه فك رموز النص وسبر أغواره، حتى يصل إلى فتح شفراته بالشكل الذي يجده أكثر انسجاماً مع البنية اللغوية للخطاب(النص) او الطاقة الابداعية له.⁽⁶⁾ لذا فإن من أولى مهام النقد الثقافي: هو الاهتمام بدراسة الجمال الباطني المضمر تحت رداء جمال العبارة.

وبذلك نستطيع القول ان النقد الثقافي " هو ربط الادب بسياقه الثقافي غير المعلن، فلا يتعامل مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على انها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على انها انساق ثقافية مضمورة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والانسانية، ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع الادبي الجمالي ليس باعتباره نصاً بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضم اثراً مما تعلن" ⁽⁷⁾ .

واذا ما تتبعنا مفهوم النسق الثقافي، نجد ان هذا المصطلح بالغ الاممية في النقد الثقافي، فالنسق الثقافي هو " نسق معرفي اجتماعي فكري، يحمل في طياته كل ما تفرزه الثقافة في النص والخطاب وله حضور، فهو نسق تاريخي ازلي راسخ وله الغبة، وعلامته هي اندفاع الجمهور الى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الانساق "⁽⁸⁾ بينما نلتمس وجود مسبق وحضور قديم لمفردة (النسق) لوحدها حتى استخدمت هذه المفردة في الخطاب العام والخاص.

يعد النسق من العناصر المهمة التي يتضمنها الخطاب الادبي على اختلاف انواعه، شعراً او نثراً، فصار من الاحرى بنا التعمق والبحث عن الجذور الاولى له للكشف عن دلالته اللغوية، على اساس ان اللغة تشكل اهم وسائل الاتصال وارقاها في تعاور الفرد مع ابناء مجتمعه، وما البحث في الجذر اللغوي للمصطلح الا محاولة بسيطة لتحديد ابعاده وضبط دلالته، وهذا ما جعلنا نندفع للعودة الى المعاجم اللغوية القديمة، والتي تعد حلقة وصل ومن خلالها نستطيع ان نعبر الى عالم المعاني والحروف، للوصول حيث المعنى (الدلالي واللغوي). لذا فقد تتبعنا دلالة مصطلح (النسق) في بعض المعاجم فكان تعريف النسق عند الفراهيدى في معجمه العين "النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الاشياء ، نسقه نسقاً ونسقته نسقاً ونسقته تنسيقاً، ونقول انتسقت هذه الاشياء بعضها الى بعض اي تنسقت " ⁽⁹⁾ بينما جاء تعريف النسق عند ابن منظور في معجمه مع شيء من التفصيل "النسق في كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الاشياء ونسقه نظمه على السواء ، وانتسق هو وتناسق، والاسم النسق، فقد انتسقت هذه الاشياء بعضها الى بعض اي تنسقت ، والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأن الشيء اذا عطفت عليه شيء بعده جرى مجرى واحد" ⁽¹⁰⁾

وأيضاً أحالنا المعجم الوسيط إلى هذا المصطلح وجاء فيه "النسق" ما كان على نظام واحد من كل شيء، يقال جاء القوم نسقاً، وزرفت الأشجار نسقاً، ويقال شعر نسق: مستوى البنية، حسن التركيب، ورد نسق منظم⁽¹¹⁾ أما الفيروز أبادي فجاء تعريفه للنسق في قاموسه المحيط "نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسيق محركه ما كان على نظام واحد، والنسيقان كوكان يبتداآن من قرب الفلكة أحدهما يمان والآخر شام، وانتسق تكلم سجعاً، والتنسيق التنظيم، وناسق بينهما تابع"⁽¹²⁾ وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال "ناسقوا بين الحج والعمرة، معنى تابعوا وواطروا"⁽¹³⁾ نستدل من جميع التعريفات أنفه الذكر، أن النسق يحيل إلى انتظام الأشياء، على نمط واحد فـ "ناسق بين الامرين اي تابع بينهما"⁽¹⁴⁾.

وعلى هذا الأساس جاءت النسقية في اللغة لتدل على "الترابط والتماسك والتسلسل وتنسق الأفكار، وانتظامها في نسيج نصي موحد موضوعياً وعضوياً"⁽¹⁵⁾

بينما المعاجم والكتب المعاصرة منحت هذا المصطلح System مفهوماً عاماً وقدمنه على أنه مجموعة أجزاء تكمل بعضها بشكل متماسك حتى تصبح ذات تكامل حركي وتكافؤ وظيفي وتناغم ايقاعي، فالنسق يحظى بوجوده من خلال اكمال وظائف أجزاءه المتراكبة فقدم النسق (م. فوكو) على كونه "علاقات تستمر وتتحول، فيعمل على بلوغ منطق التفكير الأدبي في النص، كما يحدد النسق الأبعاد والخلفيات التي تعتمدتها الرؤية"⁽¹⁶⁾

وأيضاً جاء المصطلح ليدل على أنه كم من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، فهو يتكون من عناصر وبنيات مترادفة فيما بينها، حسب مجموعة من المعايير والقواعد، ونظرًا لمكوناته وتفاعلاتها يتحدد النسق⁽¹⁷⁾.

بينما عرف محمد مفتاح مصطلح النسق فكان عنده يشكل مجموعة عناصر واجزاء مترابطة ببعضها، فضلاً عن تواجد مميز او مميزات بين اجزاء عناصرها، وبذلك يتم استخلاص بعض خصائص النسق وهي كما يلي:

أ- كلما يتكون من عناصر مشتركة ومختلفة يعد نسقاً.

ب- يمتلك بنية داخلية ظاهرة

ج- له حدود وتمتاز بعض الاستقرار كي يتعرف عليها الباحثون.

د. يحظى بقبول في المجتمع لانه يقدم وظيفة لا يؤديها نسق آخر.⁽¹⁸⁾

وتدل الكلمة النسق System في اليونانية القديمة Sustema إلى "التنظيم والتركيب المجموع، ومن ثم تحليل هذه الكلمة على النظام والكلية والتنسيق والتنظيم، وربط العلاقات التفاعلية بين البنية والعناصر،

ومن ثم فالنسق عبارة عن نظام بنويي عضوي كلي جامع⁽¹⁹⁾. وبذلك يتضح لنا ان الكتب الحديثة والمعاصرة تحيل لغة لهذا المصطلح على كونه نوع من الترابط والتتنظيم بين اجزاء مجموعة بنيات ولا تخرج عن ذلك المعنى. اما اصطلاحاً فقدم على كونه "كل ما يتولد عن تدرج الجرئيات في سياق ما، او ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، الا ان لهذه الحركة نظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه"⁽²⁰⁾

وإذا ما تتبعنا الانساق الثقافية المتوارية والمختالة في الخطاب الروائي موضوع الدراسة، ولكون القراءة الثقافية تسعى للولوج الى اعمق النصوص الادبية كي تكتشف وتبصر عن مجموع انساق ثاوية فضلاً عما هو نسق ظاهر والتي تتشكل بنية النص الثقافية منها .

يتحلى لقارئ الرواية والمار بادها وشخوصها ان خرائط النسيان ثرية بحمولات ثقافية، تاريخية اجتماعية سياسية لذلك كان تقسيم الباحثة لهذا المنجز هو عبارة عن مقدمة وثلاث مباحث اشتمل المبحث الاول على النسق الاجتماعي اذ تم الكشف من خلاله عن الانساق المضمرة في النص الادبي متبعين مسار الكاتب وفق ايديولوجية رؤيته للواقع في دول الشرق الاوسط بصورة خاصة، كما انه كروائي يعالج قضية وطنية من خلال شخصياته المترقبة (يوسف المعنى، د.عساف) والتي كانت هي المحور الاساس حتى احتلت مساحة واسعة في الرواية والجزء الاكبر منها، فضلا عن ادوات السرد التي يمتلكها. اما المبحث الثاني فتمثل في النسق الثقافي، وعن طريقه تم الكشف عن الثقافة المهيمنة والتي عملت على تمرير انظمتها وانساقها عن طريق السرد الروائي، فمن خلال التعمق في كشف الانساق الثقافية للرواية، يتم معاودة استطراق الوثيقة الخطابية وفق رؤية حديثة حتى صيرت من النص مادة فاعلة، فاغلب الروايات تحمل في طياتها نوعاً من التورية الثقافية، والتي هي ذات نسقين لا معندين، ونلحظ في هذه الرواية هيمنة هذا الجانب في متنها على امتداد مساحتها. اما المبحث الثالث فكان بعنوان النسق السياسي، اذ يعد احد الانساق الخادمة للنسق الثقافي العام التي تروج له الرواية بشكل واضح، فالنسق السياسي يحظى باهتمام واسع لكونه يلعب دوراً اساسياً في تشكيل المجتمعات والشعوب.

اما المبحث الرابع فكان تحت مسمى النسق التاريخي، فخرائط النسيان تتعج بانساق تاريخية ابتداءً من عتبة العنوان اذ تحيلنا هذه العتبة الى الولوج في التاريخ والبحث عن الانساق المتخمية خلف الخطاب الروائي، ومدى ارتباطه بالعصر الحديث والواقع المعاش، وهذا ما قدمه الكاتب في روايته " من قال انا ننسى، قد تخفي الاحزان والاصوات والافراح في ذاكرة الانسان لكنها لا تتبدل "⁽²¹⁾

ويتجلى لنا بكل وضوح ان العنوان يحمل في طياته ايقونة تشير الى قديم الزمان حتى كان استخدامه لمفردة (خرائط) ذا احالة مميزة، فضلاً عن توظيف الكاتب بعض الشخصيات والاماكنة التاريخية في متنه السردي، وأشارته الى العصور التي شكلت اهمية في تاريخ العراق ومنها البابليون والسومريون

والاكديون، العهد العثماني في عهود مضت وهذا ما سنتطرق اليه لنبين النسق التاريخي وما يختبيء خلفه ليتشكل بصورة نسق في الرواية موضوع الدراسة .

المبحث الاول: النسق الاجتماعي

من الانساق الاجتماعية الى كانت حاضرة في رواية خرائط النساء هي حالة الاعتداء التي طالت فتاة العتبة(فاتن) اثناء خروجها برفقة امها، ناهيك عن الاعتداء الجنسي الذي وقع امام مرأى اتسع جميع من في مركبة (باص) لنقل الركاب كما نص عليه المتن الروائي " وحملوني خارج الاوتوبس ولم يستجب احداً وقطّعت ملابسي الداخلية واصبح نصفي عاريًّا في اقل من عدّة ثوانٍ " (22) ان التهجم البشع الذي طال فتاة العتبة من قبل اربعة شبان يحيلنا الى هشاشة المجتمع، والى نسق مضمر ضمّنه الكاتب متنه ليظهر عجز المجتمع عن ردع اي حادث او اعتداء يتعرض له اي شخص، وبذلك فهو عاجز تجاه اية قضية يمكن ان تتعرضه في كافة المجالات الحياتية، لا سيما ان الحاضرين في الباص كانوا فقط مراقبين لما يحدث، وكأنهم يمتهنون الفرجة لfilm سينمائي، وذلك يتنافى مع العادات والتقاليد التي نشأ عليها مجتمعنا العربي، ويتناقض مع مقومات الشهامة العربية للرجل العربي حسراً، واذا اردنا ان نستذكر احدى معارك التاريخ آلا وهي (معركة عمورية) والتي نشبت نظراً لاستجاد امرأة بالمعتصم بندائها (وامعتصماه) فكان نداؤها صرخة هبَّ على اثرها المنادي بكل عنفوانه لانقاذها.

لقد احدث الكاتب لدى المتلقى ردة فعل لما كان متوقع قبل اكمال قراءة الحدث وبمعنى اخر يمكن القول انه كسر افق التوقع لدى القارئ، وذلك بجعل كل المتواجدين في المركبة مجردين من الانسانية التي اوجدها الله في خلقه بجميع دياناتهم واعرقيهم والوانهم ولغاتهم، ربما تراكمات الحياة وضغوطاتها على المجتمع جعلته يقف صامتاً لما رأى امام ناظره. فما ليثوا ان يكونوا مسلوبين الحلية تجاه ذلك الاعتداء البشع او بالأحرى مشاركين في الجريمة وهذا ما تضمنه النص الادبي" وكانت امي تلقي نفسها على لتمياني والناس يلقون بها بعيداً" ⁽²³⁾ وكان الحاضرين في المكان يحاولون اكمال المشهد حتى النهاية، اذ لم ينتبه احدهم ولم يفكروا للحظة ان ما حدث يمكن تكراره في اماكن اخرى ولا شخص آخر، وهنا افصح الكاتب عن نسق مضمر خلف هذه اللغة المنتقدة بما هو حاضر في واقع الحياة، فمن خلال هذا الخطاب الادبي قدم الكاتب انموذجاً لفئة من افراد المجتمع، ولجريمة غريبة في احداثها ودخلة في وقائعها ظاهرياً بينما كان تقديمها لقضية فتاة العتبة تختفي خلفها نسقاً يمكن ان يتسم بطابع سياسي فما وقع من اعتداء على فتاة العتبة سيطال بالتدريج الاخرين، ما دام الحاضرون واقفين بحالة سكون ودون اي زجر لابعاد الاعتداء عليها، وهذا ما نص عليه المتن الروائي " ولم اتخيل ان الناس تجردوا من انسانيتهم، وبدأت احس انهم متآمرين علي جمیعاً" ⁽²⁴⁾ فالكاتب اشار الى حادثة معينة والى نسق متواري خلف هذا المتن السردي وهو قضية الاعتداء الذي وقع على العراق امام مرأى المجتمع الدولي

والعالم اجمع، دون الحراك من الدول الشقيقة والمحاورة والدول العربية عامة حتى كانوا متفرجين على ذلك الاعتداء من خلال شاشات التلفاز فقط مما احال الى انهم متواطئون مع امريكا وحلفائها متغاضين عما يمكن حدوثه في المستقبل لأية دولة من الدول هذا ما حدده النسق المضمر وكما ورد ضمن نص "الكاتب" وبذات احس انهم متآمرين على جمیعاً... وصارت وجوه الكائنات الاسطورية تتضاءل وتبتعد" (25)

ان لقافة المجتمع تأثيراً كبيراً على سلوكيات افراده، ومن المؤكد ما وقع من جريمة اعتداء في رمضان في هذا الشهر الفضيل تحديداً وقت الآذان له تأثيره ودويُّه بين فئات المجتمع بمختلف طبقاتهم وثقافاتهم " وبعدها صرت اسمع طلق ناري واذان ثم دخلت الى عالم اخر عویل نساء وصراخ اطفال قصف ورعد وذئاب تعوي ثم دوى الصمت"⁽²⁶⁾ عندما تكون الواقعة في هكذا اجواء ايمانية في مجتمع شرقي محافظ مقيد باعراف وتقالييد تختلف عن وقوعها في المجتمعات الغربية اخرى واقات عامة وفي مكانت غير ملتزمة دينياً. فالنسق المضرر هنا يحيله الكاتب من خلال الاذدواجية وتناقض موقف المجتمع مع نسق الشرق او المحلي كونه متناقض مع واقعه المعاش اي الحياة الواقعية للمجتمع الذي حدثت فيه الجريمة، ولكون موقف الافراد الحاضرين اثناء جريمة الاعتداء متناقض مع الفطرة البشرية التي جبل عليها الانسان المسلم الموقر والمحفظ على حرمة المرأة بصورة خاصة، وبذلك يكون الروائي قد طوع ذلك الحدث لصالح فكرته عن قصد، فما جرى يمكن عده ابعد ما يكون عن الواقع، وكأن الكاتب اسند ذلك الموقف الى شيئاً اخر لا يألفه ولا يشاكله، ولأن هذا الجرم الذي طال فتاة العتبة غير مأثور ولا يتناسب مع نسق المجتمع العام الذي استهدفه النص سواء كان المجتمع عربياً ام غربياً .

ذلك تجلى النسق الاجتماعى فى الرواية وحق حضوراً مميزاً، عندما يستشعر المثقف العربى بعجزه الكلى لمنع جريمة وقعت بحضوره، حتى بات مكبل ومقيد نفسياً وجسدياً لايقاد الاعتداء، وهنا يبرز نسقاً متنافياً والشخصية النموذجية المثقفة، التي كان من المفترض ان تندد وتواجه كلما يعترضها باسلوب حضاري، محاولة الدفاع عن الحقوق المسلوبة بارادة قوية، وهنا نلتمس تنويه واضح الى ان الشخصيات المثقفة لا تتضح معالمها ووتجرد من مخاوفها عند نيل الشهادة فقط، بل بالثقافة الداعمة التي تساعد على تعزيز الثقة بالذات⁽²⁷⁾ لكن شخصية (يوسف المعنى) الشاب المبدع والكاتب المسرحي المثقف كانت عكس ذلك، فعندما تعرضت (فاطن الخزندار) الى الاعتداء لم يحاول الدفاع عنها وايقاف الجريمة، انما فقد وعيه، وانعكس اثر ذلك الحادث سلباً على عقله الباطنى، وبعد عشر سنوات احس بالخيبة والعرى امام فتاة العتبة عند لقاءه الاول بها بعد الحادث خلال القاءه ورقة عمل في الندوة التي اقيمت لإعلان عمان عاصمة الثقافة العربية بعنوان (تأثير الواقع في المسرح)، وبذلك نجد نسقاً اجتماعياً متواري خلف الشخصية النموذجية المثقفة للإنسان العربى، وهذا ما شعر به يوسف ازاء موقفه امام الفتاة كما جاء في النص السردي " تسللت عيناه بين المقاعد الى يوسف وبدأت تعرّيه من ملابسه عار على مسرح

خاً، سوى متدرج: ترى كيف يشعر المرء حين يكون عارياً امام الاخرين دفعة واحدة "(28)" استذكر يوسف الموقف الذي حدث امام عينه، وفي الوقت ذاته أحس بالعجز الذي عكس داخله حاله من العري الذاتي تجاه الفتاة التي كان ينوي خطبتها، فالموقف مخجل ولا يتسامح معه المجتمع، لذا دلالة النسق الاجتماعي والثقافي المضمر تكمن في عدم قدرة المثقف والذي يشكل النخبة مواجهة الواقع لكون الحادثة هي اجتماعية ترتبط بالاصول العربية وقيم الانسان العربي التي تجذرت في المجتمع الشرقي، ومنحها اهتماماً منفرداً وخصوصية في ذاتها" وكان على احزان السنين ان تعود من جديد فلماً على اجساد اصحابها في صحوهم وغيابتهم "(29)"

تشيرنا اغلب نصوص الكاتب الى قدرته في اثراء روايته بانساق اجتماعية، حتى امسى هذا النسق متغللاً في مفاسيل خطابه آخذًا مساحة واسعة، وينجلي للباحث دلالة النسق الاجتماعية من خلال المتن السردي " نحن مجتمع يعاني من الازدواجية والعنف. المتهم لا غبار عليه...! والضحية يتم عقابها الف مرة، من المجتمع ومن نظرات الناس.....فما معنى ان تقول بعض الصحف: انها كانت في وضع مخلٍ باللأدب مع خطيبها، ما أثار عدداً من العمال، فتناوبوا الاعتداء عليها...! بل وما معنى ان تشك صحف اخرى في ان شاباً كان برفقتها لم يكن خطيبها، وتقول انه كان مجرد صديق " (30) .

ان التباين التقافي بين افراد المجتمع، جعل من (فاتن- فتاة العتبة) وهي المعتدى عليها سبباً مباشراً لما حدث من سلوك غير اخلاقي، وهذا يشير بكل وضوح الى التغير في البنية الفكرية للمجتمع، مما انعكس على الواقع الاجتماعي، اذ نلحظ نسقاً اجتماعياً ظاهراً مكشوفاً، عندما غض المجتمع انظاره عن مرتكبي الجرم، وعن كل ما تقتضيه القيم الانسانية وما اوجبه الدين على الامة، وما اقتضته العادات المجتمعية الشرقية والغربية اجمع، فاصبح سخط المجتمع منحصراً بفتاة العتبة، حسب وجهة نظر كل فرد، مما افصح عن التناقض الفكري بين الافراد .

فعندما يقوم النقد التقافي بمهمة البحث عن الانساق المتوارية للكشف عن الثاوي خلف اقنة البلاغي والجمالي في لغة الخطاب الادبي، نستنتج من ذلك ان الكاتب استطاع بثراء لغته ان يدفع المتلقى لخطابه ظاهرياً الى قضية مجتمعية حدثت لفتاة العتبة، بينما وجدنا ان هذا التوظيف للغة متنه يضم نسقاً يشير لأحداثٍ اخرى نجزم ان تكون سياسية دولية، عندما نجد الروائي وضع على لسان احدى شخصياته الرئيسية وهو يصف ما يحدث من جرم مشهود امام انظار العامة موظفاً احدى الوسائل الرمزية الا وهي (القطار) الذي يشير الى مراحل الازمة التي ستمر على المنطقة العربية بالتدريج، ويمكننا القول ان اختيار القطار بصورة خاصة له مغزى عميق، وهذا يؤكّد انه لم يأتي بالصدفة ولا كان بريئاً بل انه يوحي " بالفضاء الامثل لتجسيم الحس المحلي والواقعي، ويمكن اعتباره رمزاً كذلك للزمان، كما يمكن اعتبار القطار رمزاً دالاً على مستويات الفئات اجتماعياً وثقافياً "(31) هذا التحديد لتلك الوسيلة

(القطار) التي جاءت كأدلة توحى لحدث مقصود ضمن النص المسرحي الذي كتبه يوسف المعنى التي يود تمثيلها على منصة المسرح، فكان القطار في سيره متذبذباً بين التحرك والثبات، مما يكشف لنسق مخفي وهي المحطة التي يركن فيها القطار لبرهة ليواصل سيره، ما يشيرنا إلى الاعتداء الذي سيطال الجميع لكن الوقت هو ما يفصل بينها، فعندما لم يكن بمقدور أحد الدفاع وايقاف الاعتداء على الفتاة، هذا ما يعكس العيش في مجتمع متلهٍ من جانب القيم والعادات المتأصلة فيه، أما دلالة القطار فهي تشيرنا إلى الزمن الذي سيشمل الجميع دون توقف، وستتكرر هكذا جرائم واعتداءات بشكل تدريجي كما في المتن الروائي "وكنت شارداً عندما بدأ يوسف يقول تك- تك- تشي- تشي.... وفجأة تقدم يوسف نحو حبل الستارة المعدنية للشرفة، وشده بعنف . فارتعدت الستارة بسرعة، لتفعلنا الشّمس، وكلَّ ما حولنا، بكمال ضيائها الجار..!"

تاك هي العتبة يا صديقي. عتبة العرب، في العبور من الواقع إلى المسرح، وبالعكس" (32)

عند البحث في البنية العميقه للنص، لاحظ الباحث اصرار الكاتب من جانب على توجيه رسالته إلى المتلقي فحواها ان الزمن في حالة دوران فهو غير ثابت وسيدور على كل متدرج عاجز عن ردع مشهد الاعتداء، وبذلك فان الكاتب من خلال امكانياته واستخدامه لآلات السردية على قدرة في جعل اغلب احداث الرواية مرتبطة بالحدث الرئيس، مما منح الرواية حيوية. أما من جانب اخر فقد عمد الى خلق نسق اجتماعي في الوقت ذاته، عند خلقه صوره مغايرة للسائد وتخالف عن المألوف والمتعارف عليه في المجتمع الشرقي بل في كافة المجتمعات، في المرأة والدفاع عن المرأة وعدم المساس بحرمتها لا من قريب ولا من بعيد، وقد تجلت قدرة الروائي في هذا التوظيف ليحقق احد اهم مقاصده، حيث الخروج بذلك الجنس الادبي (الرواية)، وكسر افق التوقع لدى المتلقي لان الابتعاد عن العرف السائد يشيرنا الى نسق اجتماعي ونمط مخالف .

زخرت خرائط النسيان بالعديد من الانساق وكان النسق الاجتماعي طاغي الحضور، وذلك من خلال توظيف قدر كبير من الدلالات والاسقاطات والرموز، اذ استقدم العديد من المواقف والرؤى حول قضية اجتماعية معينة، فمن خلال التباهي في اراء البنية المجتمعية تجاه قضية فتاة العتبة، منهم من يعتبرها مخطئة لأن ملبسها غير لائق ولا محتشم، واخر يصرح بأن حدوث هذه الجريمة مظهر عادي يمكن حدوثه في أي بلد ومكان، في حين البعض يجعل من خروجها ليلاً سبباً للاعتداء، متجاهلين وجود المترجين على الحدث وهم في الحقيقة يمارسون انتهاك لقيمهم واخلاقهم، وهنا يكمن النسق الاجتماعي كما جاء في المتن على لسان احد متلقي الخبر وهي طالبة جامعية " انه في يوم من الايام تم اغتصاب فتاة، اثناء صلاة الظهر ، في القاهرة، في ميدان العتبة. ومش كده وبس. لا، ده في اوتوبوس. انا مش

حعلق على قضية الاغتصاب، لأن دي حاجة بقت شبه عادية، بس اللي انا مستغبة ليه انه مش
كمان الظهر، لا ده في اوتوبيس امام الركاب " (33) .

النسق الثقافي:

اصررت الرؤية السردية للكاتب من خلال نصه الروائي على فضح الخراب والهشاشة التي المت
بالمجتمع، اذ افصح من خلال خطابه انحطاطاً للمبادئ الإنسانية، واهتزاز القيم، وانهيار نظامها وسط
غياب الرادع الديني والقيمي، وهذا كان حاضراً في حالة الفرجة التي مارسها الموجودين في المركبة،
والانتهاك الذي مورس بحق الذات اولاً ثم انتهاك الآخر وهي الفتاة، فلما حاولت الأم انقادها منعوها وقد
شكل الحاضرون حلقة تكون مساحة المشاهدة متاحة لأكثر عدد من المتفرجين.. فالرواية تحيلنا في
بعض مفاصيلها الى انساق ثقافية ثاوية في خطابها، ومروراً بشخصيات الكاتب المثقفة عكس (يوسف
المعنى) من خلال مسرحيته التي كتبها الصورة الحقيقية لوضع المجتمع العربي ولموقفه " خيل اليّ اني
قلت كل ما اردت، خيل اليّ انتي حلقت في عواصم العرب كلها في تلك الليلة " (34) فمن خلال مسرحية
لا تتجاوز (6 دقائق) لنص مرتجل وموسيقى صاخبة في فضاء مسرحي يتشكل من منصة وجمهورين
جمهور داخلي وجمهور خارجي وهنا يظهر نسق ثقافياً قابعاً خلف لغته حين يصور اغتصاباً لفتاة على
مرأى جمهورين كما في النص " اما المتفرجون فتلك هي المسرحية ونصها الارتجالي، مسرحان في
مسرح واحد مسرح داخلي مدفوع الثمن لمن يريد الفرجة ومسرح خارجي للمشاهدة وعابري الطريق
وجمهور!؟.... ثم ترفع الستارة الداخلية وجاءة يعلو صرخ فتاة الحقوني ..." (35)

ومن هذا النص نستطيع الجزم بان هناك نوع من تصادم الطبقات الاجتماعية، اسهمت بلا شك في خلق
مفاهيم متعددة ذات مرجعيات واشكال سلطوية، كالصراع بين المركز والهامش (الانا والآخر) (36)
لاحظنا في نص الكاتب انساقاً اخرى كثيرة تشير بصورة ضمنية الى الواقع في الساحة العربية، فضلاً
عن ردة فعل الدول العربية عند العدوان على العراق، وبذلك صور الكاتب عاكساً بالجمهور الداخلي
الشعب العراقي مشيراً الى الاضطهاد التعسفي الذي اصاب العراق من قوى التحالف الدولي، اضافة الى
حالة التأمل التي كانت مرتبطة في ردع وايقاف الاعتداء، فكان الشعب يمثل المتراج الداخلي متظاراً من
المتراجي خارجي موقف حقيقي وردة فعل حقيقة لكنه اصيب بخيبة امل حتى ان انتظاره كان دون
جدوى، فجاءت قراءتنا الفاحصة لتبيين ان الكاتب قد وظف شخصياته لعمل صيغ نسقية ثقافية تعكس
الواقع المتredi لتمرير انتقاده للسلطات والشعوب المتراجة، فالثاوي خلف الخطاب السري يتحدد
بالجمهورين داخلي يتطرق على جمهور خارجي وبالعكس، مما احال الى حالة فرجة سلبية للجمهورين وهم
مارسين انتهاكاً لكافة القيم والعادات، اما فتاة العتبة فكانت هي العاصمة بغداد " ثم جاء وجه امي، من
فوقهم جميعاً فغمري فرأيت بغداد. ثم نمت بعمق شديد " (37) بغداد التي كانت عرضة للانتهاك من قبل

قوى التحالف الدولي، فكانت احداث العراق لها اثراً كبيراً في السرد الادبي عند الروائي، ما احال الى توظيف احداث المنطقة العربية ليعلن من خلال الشخصية الرئيسية في المتن نسقاً مختالاً خلف تلك اللغة المملوقة بانساق ثقافية عاكساً ذلك عن طريق (يوسف المعنى) المبدع الكاتب المسرحي المتقف والذي فضح نصه الوجيز المرتجل ذا اللغة الصامتة والموسيقى الصاخبة احدث العراق واقتحام بغداد حسراً، عند كتابته لمسرحية سعى دوماً الى تمثيلها في فضاء مسرحي وهي اعادة اغتصاب فتاة العتبة فاتن الخزندار في ذلك الفضاء محاولاً تشخيص ردة فعل الجمهورين المتفرجين على ذلك الحدث وهم ينظرون الى هذا الانتهاك ببؤر مختلفة. قاصداً ان يضمن ذلك المشهد بعض الصيغ، ل تكون دلالة النسق من جهة نقداً لممارسات السلطات العربية، ومن جهة اخرى اختار لموقفه الشاب فضح حالة الخنوع التي عليها الشعوب العربية، وبذلك نجح في توظيف ادواته الفكرية وقدراته الابداعية من اجل بيان بعض القبح في الواقع المحيط بنا من كافة المجالات .

شكلت مسرحية يوسف المعنى ايقونة ثقافية فاعلة، ونسق ثقافي تحكمه علاقة متشنجية تمتاز بالتوتر والانفعال عندما طلب من فاتن اعادة تمثيل ما تعرضت له مسبقاً على ارض الواقع على شكل مشهد مسرحي كما جاء في المتن " اتريدين ان اغتصب مرتين " ⁽³⁸⁾ وقد كان لتقديم شخصية فاتن دلالة نسقية تمثل في تكرار الاعتداء على العراق وعلى العاصمة بغداد. فعندما يتشكل الواقع بصورة مشهد مسرحي، حينها يكون للمتفرج من كلا الجمهورين في موقف حيقي وردة فعل حقيقة نظراً لانتهاك حقوقه وقيمته بحضوره وامام عينه. وبهذا استطاع الكاتب الاعلان عن ذاته، فعن طريق متنه السري نلتمس انه يمتلك مساحة واسعة من حرية للتعبير اولاً عن ذاته، وعن الذات الكتابية ثانياً.

وقد استطاع الكاتب من خلال خرائط النسيان ان يجعل المتلقي منفتحاً نحو افق للاشتغال على جسد السلطة المصاب بالخراب والتمزق والتشظي، عندما اوجدت السلطات احتٌ للحقيقة كما جاء به النص " هي لعبة النسيان تمارسها السلطة، اية سلطة حين تضطر للاعتراف بالواقع مرغمة، فتعترف ببعض هذا الواقع لتقوم بنفيه وقلبه بشكل كامل" ⁽³⁹⁾ فالدلالة النسقية تكمن عندما يمسي المضمون متناقضاً مع معطيات الخطاب الذي يعد اساس النقد الثقافي وبهذا النص وبعد القراءة المتخصصه للخطاب نستنتج، ان السلطة المتفردة بالقرار والتي يقع على عاتقها التحقيق في قضية الاعتداء على فتاة العتبة ومن ثم الحكم لصالح المعذى عليه تقوم بالتنزييف والتمويه والابتعاد عن حقيقة الحادث، وتحويل وقت الحادث من رمضان الى عيد الفطر ومن النهار الى الليل، وبذلك تكون قد سلكت مسلكاً اخر وصاغت الحادثة بطريقة مخالفة عن حقيقة وواجب عملها المهني، وذلك لصياغتها قصة هي اقرب ما تكون للحقيقة لكن بتغيير بعض تفاصيلها دون لفت نظر البعض على احداثها حتى باتت هي الواقعية الحقيقة لدى الشعب .

النسق السياسي:

وإذا ما رجعنا إلى النص الذي بين أيدينا محاولين اظهار المبطن والثاوي خلف لغته محاولين استنطاق النص نجد ان الرواية شُيدت بأسلوب خاص لاحتواء جزئياتها على انساق سياسية وقد تجلى لنا من خلال ما ورد على لسان السارد والذي عمل على خلق اخت للحقيقة كما جاء في المتن الروائي " فان جهات كثيرة تدخلت مبكراً في صياغة كيفية وصول الحدث الى الناس، فعبر التلفاز والمذيع، والصحف اليومية والاسبوعية والمجلات تم حبك قصة اخرى موازية. قصة هي اخت الحقيقة، اقامت بجوارها في البدء ، في اذهان الناس ثم طفت عليها وحلت مكانها ... " ⁽⁴⁰⁾ وهنا يتجلى لنا نقداً للسلطة ونسقاً ظاهراً اكثراً مما هو مضرم حين حاول اصحاب القرار في الدولة والسلطة اخفاء وتغيير الوجه الحقيقي للجريمة حتى لا تترزع ثقة المجتمع بقدراتها وقوتها في فرض القانون وسيطرتها على كافة مفاصل المجتمع، لذا نجدها عملت بصياغة قصة قريبة الى الواقعه (اخت الحقيقة) مع تلاعها في فضاء الجريمة وزمنه، فضلا عن قيام تلك السلطة باضافة اختان شقيقتان للضحية، وما حدث كان بموافقة الفتاة لاستجابتها لمغازلة الشاب ولحركاته، وهنا يبرز نسقاً ثاوٍ حينما تكون الدولة ناسية لواجبها كسلطة في سن القوانين ولحماية الامن المجتمعي، وابعد الذعر الذي يصيب فئة الشباب عندما يطرق سماهم هكذا جرائم، لا شك ان تكون مصدراً للتقليد من قبل البعض المتهور حين يفتقد الرادع الديني والقانوني، ومصدراً للغوبية من قبل الفتيات خوفاً من التعرض لذات المواقف مستقبلاً، وهكذا يظهر نسقاً سياسياً لهيمنة السلطة، وبهذا يكون الكاتب قد اسقدم صورة سلبية لسياسة الدولة والقائمين على تنفيذ القانون خاصة، بواسطة تمريره نسقاً خلف عباءة اللغوي، ويرجع سبب ذلك ان السلطات لم تستطع مواجهة المجتمع بحقيقة الحادث. وبذلك يكون الروائي من خلال متنه قد عبر عن العجز الذي اتصف به سلطة البلاد، وعجزها عن توظيف القدرة العقلية للفصل بين الحقيقة والزيف .

ان رسم السلطة وتحديدها شخصية المجرم يشي بنسق يغایر حقيقة عملها، عندما حددت اوصاف المجرم، فانها تتخذ من سلطتها حق التمييز بين الافراد كما في المتن " تقف فتاة الى جوار والدتها وشقيقتها(!) على المحطة ويقترب منها شاب اسمر(!) قصير القامة، مملوء البنية! ومن بعيد ينظر للفتاة ويداعبها بعينه وتبتسم له وسرعان ما وصل الباص، فاسرعت الام وتركت خلفها الابنة التي تحرش بها الشاب واعتدى عليها بمساعدة ثلاثة من الركاب وذلك على مرأى من كل الناس" ⁽⁴¹⁾ ان أهمية الانساق المضمرة تكتمل بتوافرها في الخطاب اللغوي والذي يمثل احدى مجالات البحث عن الانساق اذ يمكن ان يكون " مع كل خطاب لغوي مضرم نسقي يتسل بالمجازية والتعبير المجاري ليؤسس عبه قيمة دلالية غير واضحة المعالم، ويحتاج كشفها الى حفر في اعمق التكوين النسقي للغة وما تفعله في ذهنية مستخدميها " ⁽⁴²⁾ وهنا نجد ان السلطة قدمت الضحية كأساس لحدوث جريمة، وهذا يعكس ايضاً التناقض الفعلي لعمل السلطة، اذ وجد الباحث نسقاً مخفي يشير الى حالة سياسية

فالام في النص تشير لنسق سأتأتي لذكره لاحقاً، وقد تجلى المضمون النسقي من خلال تشخيص السارد لمواصفات الشاب والتي حصرها بالبشرة السمراء الممتلئة ببنيته وهو ما يحيلنا الى ما يتحلى به بعض المارينز الامريكي المتشكل من مختلف الجنسيات، وقوى التحالف المحتل للعراق من لون قاتم وبشرة سمراء، ويحيلنا الى التناقض الذي اتصف به الام. لكونها الحاضنة الامينة لكل فتاة وهي المحافظة على ابناءها بكل المقاييس وهي المضحبة من اجلهم بكل حياتها كي تضمن لهم الامان والحياة الكريمة، بينما نجد الكاتب في نصه الخطابي يضمن متنه بواسطة نسقاً مخالفًا مصوّراً تناقضاً واضحًا للفطرة البشرية التي منحها الله لجميع الامهات حيث قدم (ام الضحية/فاتن) وهي ترك ابنتها لذلك الذئب المتربيص بها في الباص غير مكتثة لما سينتج من فاجعة يهتر لها المجتمع بمختلف مكوناته ومستوياته الثقافية، وبذلك عمد السارد في تقديم نسقان متناقضان متضادان مجسداً ضمن لغته السردية اللامبالاة جاعلاً من اللامعقول في الحياة معقول في خطابه الروائي، وعمدت السلطة للاخلال بأهم عنصر يختص بعملها، وذلك عندما قدمت الضحية بصورة المذنب الوحيد في القضية، متناسية انّ من واجب القانون والسلطة التتحقق من الاسباب وايضاح الحقيقة للمجتمع وليس اخت الحقيقة، اذ قامت بصياغة خاصة للجريمة للقليل من بشاعة الموقف، او للمحافظة على هيبيتها ولاستمرار التزامها القانوني بكافة جوانبه امام فئات الشعب، لذلك فاخت الحقيقة قدمت الفتاة كمذنب الى المجتمع نظراً لعدم شجبها ورفضها للإيماءات الصادرة من الشاب الاسمر كما في النص " ومن ثم تنتقل إلى التمهيد للجريمة نفسها، بداعبة الشاب لفتاة بعينه، وابتسمها له، ما يعني موافقتها "⁽⁴³⁾ يحمل النسق في طياته تورية مبطنة، حتى صيرت نفسها غير مسؤولة عن حدوث هكذا جرائم قدر المستطاع وهذا ما اشار اليه المتن "واخت الحقيقة الرسمية تعرف تماماً، انها وبوعي كامل ومحسوب، تقوم بتحويل "الحادثة المروعة" الى المتلقي، من "جريمة بشعة" الى " مجرد منظر"⁽⁴⁴⁾ فالخطاب يعكس لنا نسقاً ظاهراً لجريمة ممكناً وقوعها في بلدان كثيرة واماكن متعددة لكننا وجدنا نسقاً مبطناً، اذ يخفي الخطاب نسق سياسي يشير الى العراق ووضعه السياسي حينما تكالبت عليه قوى الشر مدعية امتلاكه اسلحة الدمار الشامل، وقد دُعْت ذريعة وعلى اساسها منحت الدول لنفسها الحق في الاعتداء وضربه واحتلاله، امام انتظار المجتمع الدولي، متخذة من ذلك سبباً لغزوها، على الرغم من يقينها من عدم امتلاكه الاسلحة، لكنها حققت اقناعاً للرأي الدولي .

كان للنسق السياسي مؤشر حضوري، اذ حمله الكاتب تحت مظلة نصه اللغوي وبذلك يمكننا القول " ان حركة النسق بدت منذ مفتاح النص منفعلة قلقة لوجود اداة نسقية في داخلاها تؤرقها وتقضّ مضجعها"⁽⁴⁵⁾ فمن خلال المتن الروائي يتجلى لنا تمرير نسقاً ونقد السلطة الذي تتمثل في (اخت الحقيقة) التي طالما حولت الحادثة الى مجرد ردة فعل من شاب اسمر " بهذه البساطة تحول اخت الحقيقة الجريمة واسبابها الى مجرد لطمة من فتاة على وجه رجل، امام العامة، وقرار بالانتقام للرجل، لا بالضرب، بل الاغتصاب العلني "⁽⁴⁶⁾ وعند النظر في البنية العميقه للنص نجد ان النسق يضم في

الخطاب ويشيرنا الى سنوات خلت وتحملنا الذاكرة الى قضية سياسية الا وهي ضرب العراق لاسرائيل بالصواريخ وايضا دخول العراق للاراضي الكويتية، مما دعا على اثره الى ان يتشكيل تحالف عسكرياً دولياً ضد العراق، سعى الى اغتصاب الارض العراقية بالكامل، امام انتظار المجتمع الدولي، فضلاً عن حالة الصمت والفرجة التي تحلت بها الدول العربية والمجاورة، فالوضع العربي خاصية يظهر لنا نسقاً مضمراً يعكس اشكالياً انهيار المنظومة الاخلاقية والقيم الاصيلة في مناصرة الآخر، وتمرز السلطات وانطواءها على ذاتها لحماية المصالح الشخصية، لذا استمرت حالة الفرجة كما جاء في النص " ومشهد مدينة بغداد، الذي بثته الفنوات التلفزيونية الأجنبية، ما يزال حاضرا في أذهان غالبية العرب..... شاشة خضراء داكنة. والقذائف تهطل على العاصمة العربية، من السماء، كأنها عاصفة شهب . فبدت الحرب، بالنسبة لغالبية المواطنين العرب إلكترونية. لا دمار، ولا دماء. « لا عنف، ولا خراب. فقط، شاشة خضراء، وعاصفة شهب. ومذيع أجنبيّ، يصف المشهد للمشاهدين. فأدمن الناس الفرجة، أو استمروا حرباً، بدت لهم كأنها خيال علمي ..!"⁽⁴⁷⁾

لقد قدم احمد بدوي رأيه بالسلطة على انها" القوة الطبيعية والحق الشرعي في التصرف واصدار الاوامر والاحكام في المجتمع، ويشير الى ان التركيز المفرط للسلطة وعدم وجود رقابة شديدة على ممارساتها تؤدي بالضرورة الى سوء استعمالها "⁽⁴⁸⁾ وهذا ما اثبته الكاتب في متنه واستحضره على شكل نسق مضمراً اكثراً مما هو معلن .

الانساق التاريخية:

وإذا ما أردنا استكشاف الانساق التاريخية محاولين فتح مغاليق النص وقراءاته قراءة ثقافية عن طريق استنطاق دلائل السياقات في النص الادبي، نجد ان الكاتب لجأ عمداً الى استحضار قدر كبير من الاحداث والتي تمثلت في لغة روايته بشكل انساق تاريخية حيث كان لها صدى واسع، متکاً في ذلك على مجموعة تقنيات سردية، حيث شكل عنوان الرواية دلالة للاشارة الى نسق تاريخي حاول الكاتب عن طريق بنية التراكيبية الابياء الى الزمن البعيد والى ماضي الزمان من خلال اختياره للمفردات التي شكلت العنوان (خرائط النسيان) فالخريطة تستخدم للاماكن التي يصعب على الانسان الوصول اليها، لذلك فهي تساعد في الوصول الى الامكنة المحددة التي يرجى الوصول لها، اما مفردة (النسيان) فهي تعني ان هناك وقائع حدثت واندثرت في ذاكرة الانسان مع مرور الزمن، وقد عمد الكاتب الىربط احداثاً محدودة في روايته بما كان في الزمن بعيد عندما قدم شخصياته باسلوب فني شيق، لذلك فالمتلقى شارك في تشييد النسق وبناءه حسب قراءاته الخاصة، اذ يظهر المضمراً النسقي في هاتين المفردتين في ربط الخريطة بذاكرة الانسان، وبذلك فقد استخدم ثنائية ضدية الا وهي الخارطة والنسيان.

ايضاً نجد ان النسق التاريخي له دوراً هاماً ومميناً ، من خلال لغة الرواية استطاع الكاتب تمرير مضمونات كثيرة، محاولاً من خلال مضموناته اقناع المتلقى بما يؤمن به، وقد استحضر التاريخ بصورة او باخرى، ليؤكد ارتباط الماضي بالحاضر، وهذا ما جاء في المتن " ففي العشرين من حزيران يوليو 1881..... نشرت صحيفة نيويورك ديلي تريبيون مقالة عن القادمين الجدد من العرب، وفيها تصريح واضح ان ابناء (عربيلي) قد خلعوا عن كاهم كل ما يتصل بعروبتهم " ⁽⁴⁹⁾ لجد هنا الكاتب قد الصق بالعرب صفات لا تتناسب وقيمهم وثقافاتهم وعروبتهم من خلال شخصية عربيلي بينما المضمون النسقي التاريخي يعكس ذلك فالعربي مرتبط ارتباط قوي بقيمه واصوله واعرافه وتقاليده، فضلاً عن تصوير السارد الانحطاط الذي يتصف به الفرد العربي، وتدني المستوى الخلقي للفرد وهذا ما وجده في الرواية من خلال ربط احداث تاريخية منذ قرن من الزمن اتصف بها الشخصية العربية(عربيلي) بحادثة العتبة قبل عقدين من الزمن والتي قدمها بصورة جريمة فريدة في نوعها، اعتصاب امام انتظار العامة من الشعب العربي دون اي استنكار للجريمة، وبذلك نجح رفيع عن طريق تخيله السري في استحضار لغة تضم انساقاً تاريخية ذات حضور فعال تشير بصورة معاكسة الى الفرد والعربي وما تفرضه عليه قيمه وثقافته ودينه وعروبتة .

كذلك قام الكاتب من خلال منته بتمرير مجموعة انساق تاريخية قابعة في خطابه الروئي، من خلال تمثيل شخصياته واستحضار شخصيات تاريخية مهمة كان لها الدور الفعال في قيام الدولة العثمانية واستمرار انتصاراتهم في المعارك التي كانوا يخوضونها في تلك الحقبة الزمنية ومنهم شخصية " ابراهيم باشا الافرنجي او البرغلي او المقبول او المقتول او الداماد" ⁽⁵⁰⁾. فقد كان اليد الضاربة لكل اداء الدولة العثمانية قدم تضحيات كبيرة وكان له الفضل في ان تكون الدولة العثمانية بهذه القوة في المنطقة اضافة الى وفاه للسلطان، فهو اول صدر اعظم عينه السلطان سليمان القانوني، وفي ذات الوقت كانت نهايته بالقتل على يد نفس السلطان، نهاية غريبة وحزينة لا احد يعرف الدافع للغدر وقتله بهذه البشاعة، بعد اعطاءه فرصة للهرب لكن ولاءه للدولة والسلطان منعاً. وهذه النهاية تقارب مع قضية الاعتداء على عاصمة العرب بغداد كما في المتن " من قرر ان يهبط حمم السماء على بلاد الرافدين عشية عيد الخصب والخضرة والحداد عيد الاعتدال الربيعي عيد نوروز في 21 اذار مارس...؟! من قرر ان يعيد العراقيين الى اول السومريون قبل اكثرا من سبعة الاف عام. " ⁽⁵¹⁾ في بغداد هي ملجاً الدول وملقاها، بوابة الامة العربية والداعم الاول بالمال والسلاح والمتطوعين للدفاع عن شرف العروبة، بغداد التي لها السبق في قضية فلسطين والشام، استطاع الكاتب من اشاعة حالة التوتر في ذهن المتلقى عند ايراد انساق ظاهرة تمثل في تعلق الحكايات وتشابه نهاياتها المأساوية، كما كانت نهاية ابراهيم باشا الذي قتل خنقاً في غرفة نومه " في ليلة من ليالي اذار مارس في قصر الباب العالي اي بعد ثلاثة عشر عاماً من تعيينه صدراً عثمانياً اعظم" ⁽⁵²⁾ وبين العدوان على بغداد مرتين حيث كان بينهما عقد من

الزمن من شهر اذار مارس. وهذا ما يشي بنسق تارخي عاكساً به قضية الاعتداء الجماعي الذي تعرضت له فتاة العتبة امام انتظار مجتمع عربي شرقي الطبع، فالمضمون النسقي يشيرنا الى ان اي جهة تمثل قوة ونقل في المنطقة تكون في خطر لكونها محطة انتظار من حولها خوفاً من سطوطها وسيطرتها على البقية، وبذلك نجد ان خرائط النسيان لا تخلو من انساق ثقافية ظاهرة وثاوية ذات بعد تاريخي، والتي قدمت الواقع بشكل اكثراً ايضاً.

ولا يفوتنا ان الكاتب استطاع عرض افكاره بصور فنية متعددة للترويج لانساق مختلفة فكان النسق التارخي من ضمنه، نظراً لامتلاكه قدرأً كبيراً من المهارات، فقد قدم الشخصية المشرقية ذات فكر محدد ومحصور ضمن اطار مغلق كما في متنه "فالهوية في هذا المشرق المنكوب هي احد اهم عناصر الوجود والاستمرار فيه"⁽⁵³⁾ وكذلك يؤكد كاتبنا على اهمية الهوية عند المشرق كما جاء "غير ان المشرق لا يغفر ولا ينسى اصول الهويات. ولم ينس ولم يصدق ولم يقبل، ولم يشفع حتى لو كان ذلك لصانع مجد امبراطورية او لصهر سلطان زوج اخته"⁽⁵⁴⁾ فالنسق يظهر من خلال الشخصية المشرقية التي استحضرها الكاتب في روايته محاولاً اظهارها لنا انها متذبذبة لا تتسم بالوفاء وتهتم بالظاهر اكثراً من جوهر الانسان شرطها الوحيد الانتماء الى بلد ما عبر سلالة الاجداد اي انها تهتم بالاصول وجذور الانسان اكثراً من اي شيء، بينما الفرد في المشرق هو من يحمل الهوية الاسلامية المؤكدة على حسن الخلق والوفاء بالعهد والوعد بعيداً عن التعصب العرقي فقد جاء في حديث للرسول الكريم (لا فرق بين عربي ولا اعجمي الا بالقوى). نجد السارد يحاول ان يشوه كلما في المشرق بطريقة تشير الى القلق عند الآخر كما جاء في خطابه عند وصفه للمدن "ارحل فسيضيع صوتك، لمل خراب نفسك.... وارحل، وهذه المدن لا تصدق اول الخديعة ما يكتبوه من لافتات تطمئن سياحية في مطاراتها ومرافقها وحدودها المقدسة (ادخلوها بسلام امنين)"⁽⁵⁵⁾ وبهذا يكون الكاتب قد اشاع نوع الذعر عند المتلقين لتصویره مدن الشرق باسلوب عكسي ما تتحلى بها هذه المدن لكونها تحوي اغلب المراقد الدينية وشعبيها الذي يتحلى بالشجاعة والامان ويدعو الى السلام الدائم.

الخاتمة :

من خلال القراءة الثقافية للنص المقتول استطعنا الخروج بمجموعة نتائج ومنها:

* ان النص المدروس متضمن انواع متعددة من الانساق الثقافية، فمنها (الاجتماعي والثقافي والتاريخي والسياسي) حيث كانت متعرضة في الرواية باسلوب سري حاول الكاتب تمرير قناعاته من خلاله .

* فقدان العدالة الاجتماعية والسياسية والامان في بلاد العرب .

* قدم الكاتب الانسان في المشرق بصورة غير حضارية، شخصية سطحية في تعاملها مع الاخر بينما كان المضمر النسقي عكس ذلك التصوير، فضلا عن تقديم المدن في الشرق المتوسط عبر تاريخها مدن قلقة غير مستقرة واصفاً حالها بعدم الامان ورفع شعارات كاذبة خادعة للقادمين من خارجها، وهذا ما جاء في اكثر من نص في متن الرواية.

* عمد الكاتب في ان يقدم الفرد العربي بصورة عارية عن اي شجاعة وقدرة على استئثار الخطأ مهما كان، اذ قدمه كمترجح فقط .

* قدم الكاتب القيادات في المشرق بصورة سلبية محاولا انتقاد السلطات بصورة نسقية، فقد صورها قيادات تهتم بنفوذها ومصالحها ومناصبها بمعنى انها تقدم مصالحها الشخصية على مصلحة الشعب والبلد، لذلك نجدها لم تستذكر الانتهاك الذي وقع على العاصمة بغداد للمرتدين

* عمد الكاتب الى اعادة انتاج التاريخ بصورة فنية، اذ سرد الاحداث التي ادت الى احتلال العراق يوم بيوم مضمنا ذلك تواريخ البيانات الموجه من للسلطة في تلك الفترة ، ومن هذا يمكن اعتبار الرواية من الروايات التاريخية لكونها سردت احداث العراق قبل عقدين من الزمن اضافة الى الرجوع الى العصور القديمة وعيد رأس السنة عند السومريون والبابليون وكيفية حسابه فضلا عن وجود شخصيات تاريخية تمتاز بقوتها وسلطتها ايام العهد العثماني ومنهم السلطان سليمان القانوني وابراهيم باشا وقصة اعدامه على يد السلطان، ووصف المدن والاحياء القديمة وابنيتها وشوارعها ومنها الاردن كما جاء في المتن الروائي (هنا يا سادة، يمكئكم مشاهدة تاريخ العرب الحديث كله. نعم.. في هذه الساحة، التي لم تعد تحمل من دلالة اسمها شيئاً . فلا هي ساحة، ولا هي شارع⁽⁵⁶⁾، اضافة الى القصور المبنية منها قصر الزهور وقصر الرحاب وقصر ابراهيم كما جاء " فأنت اي هذا ال (ابراهيم) تعجبني لما تركته لي من غموض واسرار واول الغموض هو قصرك... بل لم استوحيت ملامح عمرانك من عمران بيت اخطر صدر اعظم لبني عثمان واكثراهم مظلومية " ⁽⁵⁷⁾ وهو يعكس لنا ارتباط الماضي بالحاضر فالتاريخ والترااث قيمة عظمى نستمد منه العبر .

* استطاع رفيع ان يظهر الشخصية النخبوية في بلاد العرب شخصيات ليس لها القدرة على مواجه الواقع ولا استئثاره ، مفضلة بذلك الخنوع والفرجة على الاحداث التي تدور حولها .

هواش البحث

- ¹ - ينظر: جماليات النقد الثقافي: نحو رؤية للانساق الثقافية في الشعر الاندلسي : 9
- ² - ينظر: النقد الثقافي: قراءة في الانساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي: 84
- ³ - ينظر: جماليات النقد الثقافي: 17
- ⁴ - دليل مصطلحات الثقافة والنقد الثقافي، سمير خليل: 23.
- ⁵ - ينظر: الانساق الثقافية في شعر اديب كمال الدين، نور رحيم حليوي: 2 . رسالة ماستر
- ⁶ - ينظر: النقد الثقافي عند يوسف عليمات، اسمهان بز على و ايمن رميكى: أ .
- ⁷ - جميل حمداوى بين المطرقة والسدان :<https://www.diwanalarab.com>
- ⁸ - دليل مصطلحات الثقافة والنقد الثقافي، د. سمير خليل : 294
- ⁹ - العين: الخليل بن احمد الفراهيدي: 218
- ¹⁰ - لسان العرب، ابن منظور: 352 - 353
- ¹¹ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: 919
- ¹² - القاموس المحيط، الفيروز ابادي: 1606 - 1607
- ¹³ - لسان العرب: 353
- ¹⁴ - م. ن، ص. ن: 353
- ¹⁵ - نحو نظرية ادبية ونقدية جديدة: 9
- ¹⁶ - معجم المصطلحات الادبية ، سعيد علوش: 11
- ¹⁷ - ينظر: نحو نظرية ادبية ونقدية جديدة، جميل حمداوى: 9 . وينظر: انساق الحدث الدرامي في نصوص يوسف العاني(بعد فوات الاوان انموذجاً)، جبار خمط حسن، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج/28، العدد4، ج 1: 488
- ¹⁸ - ينظر التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان: 158 - 159
- ¹⁹ - نحو نظرية ادبية ونقدية حديثة، جميل حمداوى: 9
- ²⁰ - المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بو قرة، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الاردن، ط1، 2009.
- ²¹ - رواية خرایط النسیان، محمد رفیع، الاهلیة للنشر والتوزیع، عمان- الاردن، ط1، 2017 : 137 : 2017
- ²² - م.ن : 9
- ²³ - م.ن: 11
- ²⁴ - م.ن: 10
- ²⁵ - م.ن: 11
- ²⁶ - م.ن: 12
- ²⁷ - ينظر: انساق الحدث الدرامي في مسرحيات يوسف العاني(بعد فوات الاوان انموذجا)، د. جبار خمط حسن، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية: 498
- ²⁸ - م.ن: 20
- ²⁹ - م.ن: 22

- ³⁰ - م.ن: 59
- ³¹ - بنية السرد العربي من مسألة الواقع إلى سؤال الضمير، محمد معتصم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، 2010، 17: .
- ³² - خرائط النسيان: 68
- ³³ - م.ن: 72
- ³⁴ - م.ن: 84
- ³⁵ - م.ن: 83
- ³⁶ - ينظر: النسق الثقافي قراءة ثقافية في الشعر العربي القديم، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2009، 12: .
- ³⁷ - خرائط النسيان: 84
- ³⁸ - م.ن: 87
- ³⁹ - م.ن: 93
- ⁴⁰ - م.ن: 94
- ⁴¹ - م.ن: 96
- ⁴² - رسالة ماجستير: الانساق المضمرة في رواية قواعد العشق الاربعون، رواية عن جلال الرومي لاليف شافق، عادل صياد ومنى برهومي، 2017 جامعة العربي التبسي، كلية الاداب: 25
- ⁴³ - م.ن: 97
- ⁴⁴ - م.ن، ص.ن
- ⁴⁵ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات، عمان-الأردن، ط 1، 2004: 64
- ⁴⁶ - خرائط النسيان: 10
- ⁴⁷ - م.ن: 41
- ⁴⁸ - علم الاجتماع السياسي، مولود زايد الطيب، منشورات السابع من ابريل، ليبيا، ط 1، 2007: 75
- ⁴⁹ - خرائط النسيان: 126
- ⁵⁰ - م.ن: 203
- ⁵¹ - م.ن: 181
- ⁵² - م.ن: 210
- ⁵³ - م.ن: 200
- ⁵⁴ - م.ن: 2003
- ⁵⁵ - م.ن: 189-188
- ⁵⁶ - م.ن: 81
- ⁵⁷ - م.ن: 203-202

Sources and references

- 1-The Aesthetics of Cultural Criticism: Towards a Vision of Cultural Forms in Andalusian Poetry, Ahmed Jamal Al-Maraziq, The Arab Foundation for Studies and Publication, 1, 2009.
- 2- Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Forms, Abdullah Muhammad Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Kingdom of Morocco - Casablanca, 3rd Edition, 2005.
- 3- A guide to terms of cultural studies and cultural criticism, d. Samir Khalil, Scientific Books House, Beirut, d.T., d.T.
- 4-Cultural patterns in the poetry of Adeeb Kamal Al-Din, Master's Thesis, Nour Rahim Heliwi: 2 . Master's thesis submitted to the University of Al-Muthanna, College of Education, 2018.
- 5- Cultural Criticism of Youssef Alimat (Reading in Cognitive Alternatives), Asmahan Bou Ali and Iman Ramiki: A, Master's thesis submitted to the University of Tebessa, Faculty of Arts and Languages, 2017.
- 6- Jamil Hamdawi between the rock and the anvil <https://www.diwanalarab.com>
- 7- Al-Ain: Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Biron - Lebanon, vol. 4, ed. 1, 2003 AD
- 8- Lisan Al-Arab, Abi Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad Bin Makram Ibn Manzoor the African Egyptian, Dar Sader Beirut, d.T, d. T.
- 9- The intermediate dictionary, Ibrahim Anis and others, Arabic Language Academy, Al-Shorouk International Library, 4th edition, 2004 AD - 1425 AH
- 10- The Ocean Dictionary, Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouz Abadi, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon, 1998, (d. i).
- 11- Towards a new literary and critical theory (multiple systems theory), Jamil Hamidawi, Dar Al-Reef for Publishing and Publishing, Kingdom of Morocco, 1st Edition, 2016.
- 12- Dictionary of Contemporary Literary Terms, Said Alloush, Lebanese Book House, Beirut, 1, 1985.
- 13- Similarities and Differences (Towards a Holistic Methodology), d. Muhammad Muftah, Arab Cultural Center, Beirut - Lebanon, d., d. T.
- 14- Basic Terminology in Text Linguistics and Discourse Analysis, d. Numan Bu Qurra, Jadara for the World Book, Amman - Jordan, 1, 2009 .
- 15- The Novel Maps of Oblivion, Muhammad Rafie, Al-Ahlia for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st edition, 2017.
- 16- The structure of the Arabic narrative from questioning reality to questioning the conscience, Muhammad Mutasim, Arab House of Science Publishers, Al-Kifaq Publications, 1st Edition, 2010.
- 17- The cultural system, a cultural reading in ancient Arabic poetry, Youssef Alimat, The Modern World of Books, 1, 2009.
- 18- The implicit patterns in the novel The Forty Rules of Love, a novel on the authority of Jalal al-Din al-Rumi, by Elif Shafak, Adel Sayad and Mona Barhoumi, a master's thesis submitted to the University of Tebessa, Faculty of Arts and Languages, 2017.
- 19- Aesthetics of cultural analysis (pre-Islamic poetry as a model), d. Youssef Alimat, The Arab Foundation for Studies, Dar Al-Faris for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1, 2004.
- 20- Political Sociology, Mouloud Zayed Al-Tayeb, April 7th Publications, Libya, 1st Edition, 2007.
- 21- The format of the dramatic event in the texts of Youssef Al-Ani (it is too late as a model), Jabbar Khammat Hassan, Journal of Tikrit University for Human Sciences, Volume/28, Issue 4, Part 1.**